التعالق الديني في محور الاقتباس القرآني بين جمال الدين الصرصري ومالك بن المرحل الأندلسي(دراسة موازنة)

الكلمات المفتاحية:المديح النبوي _ التعالق الديني _الاقتباس

غدير علي محمود أ. د لؤي صيهود التميمي
جامعة ديالى/ كلية التربية للعلوم الإنسانية
ghader.lit.ar.hum@uodiyala.edu.iq Luay.ar.hum@uodiyala.edu.iq

تاريخ استلام البحث ٢٠٢٢/٧/٣٠ تاريخ قبول نشر البحث٢٠٢٢/٨/٢٩

الملخص

المديح النبوي شعر يهتم بمدح الرسول (صلى الله عليه وسلم)، لبيان صفاته الخُلقية والخَلقية ، وإظهار الشوق لرؤيته وزيارة الأماكن المقدسة التي ترتبط بحياته، وهو شعر ديني ينطلق من رؤية إسلامية، وقد أهتم به الشعراء العرب واظهروا فيه البراعة الفنية ، والإجادة المبهرة في توضيح صفات الرسول الأعظم ، إذ كان مدحهم متضمنًا اقتباسًا وتضمينًا لآيات القرآن الكريم والأحاديث النبوية، فهو ورد في أشكال وأساليب متنوعة لذا كان حب الرسول الأعظم وسيلة تجعل الشاعر يتوسل إليه ليشفع له إمام الحضرة الألهية؛ لأن النبي (صلى الله عليه وسلم) هو الكريم والشفيع وصاحب البركة فلذلك أصبحت قصيدة المدح نموذج شعري ذات منطلق فني تتميز بمروءتها الشعرية وأصبح لها مكانة مميزة بين شعر المديح النبوي .

المقدمة:

تعد قصيدة المدح النبوي من القصائد التي اهتم بها الشعراء العرب لما لها من اهمية بوصف الرسول الأعظم وصفاته الخُلقية والخَلقية وبيان معالم الدين الإسلامي.

إذ يعتبر المديح النبوي من أهم موضوعات الشعر العربي الذي نظم فيه الشعراء المسلمين ، ومنذ ظهور الإسلام والى يومنا هذا يعبر الكثير من الشعراء عن عواطفهم تجاه الرسول الأعظم والدفاع بشعرهم عن رسالته الإسلامية ، ويعد كل من الشاعرين المرحّل الأندلسي والصرصري من الشعراء العرب الذين أجادوا في مدح الرسول الأعظم، أذ اظهروا براعة فنية ممتزجة بأساليب الفن الشعري من وزن وقافية والعناية بطبيعة الممدوح من خلال تضمين شعرهما بآيات من القرآن الكريم والحديث والشعر العربي.

وقد وجدنا العناية بظاهرة المديح النبوي ظاهرة لافتة وجديرة بالدراسة ويعنى هذا البحث الموسوم ب (التعالق الديني في محور الاقتباس القرآني) على كيفية توضيح شخصية الرسول بين الشعر والقرآن الكريم، فكان المطلب الأول يتحدث عن ماهية المصطلح من خلال حديثنا عن الاقتباس، علمًا إن كلا الشاعرين أجادا في ذلك ومن ثم يأتي المطلب الثاني بعنوان (فضائل القدرة الإلهية)، لبيان صفات الخالق وكيف أنه أبدع في خلق السماوات والأرض وكيف أسهم في جماليات الكون، وجاء المطلب الثالث المعنون ب(النصر الإلهي دلالة النبوة) الذي بينا فيه إسهامات الشاعرين في رسم صورة النصر وكيف ان الله تعالى كان المؤيد الأول لرسولنا الكريم لإثبات النبوة التي حظي بها، أما المطلب الرابع فكان عنوانه موسومًا ب(تمثيل شخصية الرسول بالنص القرآني) والذي بينت بوساطته كيفية توظيف الشاعرين لآيات القرآن الكريم في شعرهما مع ما ينسجم من الصورة الراسخة في أذهاننا عن حياة النبي وكانت ذات إيضاح وبعيدة عن التكلف، ومن ثم يأتي المطلب الخامس معنونا ب(معجزة الرسول بدلالة النص القرآني) والتي وضح فيها الشاعرين معجزات الرسول (صلى الله عليه وسلم) والتي اعتمدوا فيها على نصوص قرآنية تتناسب مع الموضوعات المختارة، وكان المطلب السادس بعنوان (اقتباس الحديث النبوي) ليوضح لنا اهمية الحديث واعتباره مصدرًا مهمًا من مصادر الفكر العربي، ولما له من أهمية عند الشاعرين، ثم ينتهي البحث بخاتمة أطرت فيها أبرز النتائج والملاحظات .

التعالق الديني في محور الاقتباس القرآني:

❖ **ماهية المصطلح**

عند البحث عن معنى الاقتباس[١] نجده ينطوي على معان عدة لا تبتعد كثيرًا عن معناه العام وهو طلب القبس أي شعلة من النار، ثم يستعار به لطلب العلم، فالاقتباس هو الآخذ وطلب العلم للاستفادة منه، وهو أحد فنون البديع، وأول من أورده فخر الدين الرازي (ت٦٠٦هجري)[١]، والذي عرفه:((ان تدرج كلمة من القرآن أو أية منه في الكلام تزيناً لنظامه وتضخيماً لشأنه))[٢]، لذلك يعد الاقتباس فن من الفنون البديعية الشائعة الاستعمال والتي يلجأ

إليها الشعراء لتقوية شعرهم، وعرفه القزويني ((يعني أن يضمن الكلام شيئًا من القرآن أو الحديث، لا على أنه منه))[٣]. إذن يلجأ الشاعر إلى الاقتباس ليمنح شعره القوة والوضوح، كما ورد في بعض المعاجم البلاغية انه جاء بمعنى :((الأخذ والاستفادة وعرف هذا من الأخذ منذ عهد مبكر وكانوا يسمون الخطبة التي توشح بالقرآن الكريم بالبتراء))[٤].

❖ **فضائل القدرة الإلهية :**

عمد شاعرينا في توطيد سمات الخالق فيما ضمنه القرآن الكريم في خلق السماوات والأرض متمثلًا بجمالية الكون وقدرة الاستحكام ويكون ذلك السياق مقتبسًا من البراهين القرآنية بوصفها خير حجة ودليل على ما يورده، فضلًا عن تلك لسياقات القرآنية التي مثلت أحوال يوم القيامة، لذلك نلحظ ان شاعرينا قد ضمنا سمة الاقتباس في شعريهما ومنهم (الصرصري) الذي أورده في سياق نتاجه الأدبي قائلًا:

زينت سماء العَلى بهم فهم شموسها والبدورُ و الشهبَ

إن حارَ ركب فهم ادلته أو جار جدب فرفدهم سحبُ[٥]

يتحدث عن السادة الذين تتزين بهم سماء العلى، فهم شموسها وبدورها وشهبها، والذين يهتدي بهم الحائرون ويستدل بهم الركب الضالون، وهم الكرماء يستغنى برفدهم وقت الجدب، وفي مقدمة هؤلاء نبينا الأعظم، إذ ورد الاقتباس في البيت الأول متضمنًا قوله تعالى:(إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ)[٦]، توطيد قدرة الخالق في بداعته الكون المتمثل بالجمال وسعة مقدور الخالق، وقد تكررت هذه السمة عنده أيضًا في قصيدة أخرى يقول فيها:

ومد الأرضَ فانبسطتْ فراشا ومهَّدها لأهليها قرارا

وقيَّدها بشمٍ راسيات ولو لم يَحْمِ جانبَها لمارا[٧]

أي أن الله هو الذي يمد الأرض ويبسطها ويجعلها لخلقه فراشًا، ويمهدها لهم ويجعلها قرارا لهم، وجعل فوقها الجبال الراسيات ولو لم يحم جانبها لمارت ومالت بأهلها، فنلحظ البيت الأول ورد فيه الاقتباس في الآية الكريمة:((الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا))[٨]، كما إن الأمر لا

يعدو بيان فضل الله على عباده وتذكيرهم بنعمائه فضلًا عن مجابهة المشركين بكفرهم ونكرانهم لتلك النعماء.

❖ **النّصر الإلهي دلالة النبوة :**

عزز كلا الشّاعرين صورة النّصر والتأييد الإلهي لرسولنا الكريم لإثبات فعل النبوة التي حظي بها، ولتكون أداة وفعل ممارسة لمجابهة الأخر المشرك فيما يتصور في ذهنه نكران هذا العمل والوقوف بجانب من تحزب لحرب الرسول، فهذا الصرصري يوطد لهذه السمة فيما تصور له مخيلته في سطور القصيدة، قائلًا:

وحزبك الغالبون الطاهرون على كل الأنام إلى أن ينفد الأبدُ

شهدت أنك خيرُ الناس ما ولدتْ أنثى نظيرَك في الدنيا ولا تلدُ[٩]

لن يتمكن هؤلاء من استباحة حرمات الإسلام مع وقوف الرسول وحزبه بجانبهم فهم الطاهرون الغالبون على كل الأنام حتى تقوم الساعة، ويعلن شهادته بان رسول الله هو خير الناس، ولم ولن تولد أنثى نظيرًا له في الدنيا ليتمثل البيت الأول اقتباسًا مع قوله تعالى:(وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ)[١٠]، لبيان هوية الرسول المقدرة من الله سبحانه وتعالى الذي أيده بنصره، ونلحظ ان هذه الصورة قد تم توطيدها من المرحّل الأندلسي لتكون ذات المقربة نفسها، التي يقول فيها:

نكا القرظييّون النبي بنكثهم ونصرهم الأحزاب للغلّ والضّغن

نهى الناسَ عن وضع السلام نبيهم وأن لا تصلي العصرَ ألا لدى الحصن[١١]

نلحظ ورود الاقتباس في عجز البيت الأول المتمثل بلفظة (الأحزاب) مع سياق قوله تعالى:((وَمَن يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ))[١٢]، وقوله تعالى:((كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ))[١٣]، إذ نجد ان الاقتباس عند المرحّل الأندلسي كان ظاهرًا واضحًا ولم يظهر فيها أي غموض، ولم نجد في ديوانه هدماً للمعنى كون القرآن لا يسمح لنا ان نتعامل بالتحوير أو قلب المعنى، كما ان الشاعرين عززا سمات المقاربة بين الأنا والآخر في مضمون قصائدهم

فهي بوصفها مجارات لهم ومحاجة على ما يسوقه المشركين في سياق كلامهم وان الله قد أيده رسوله الكريم بنصره وهو الداعي لعامة الناس وحق نبوته، ويقول أيضا:

حـوى الغـارُ منـه سـرّ علـم وحكمـة فـأطبق أحنـاء عليـه شـحاحا

حمـاهُ حمـامْ داجـنٌ وعناكـب نَسَـجنَ فصـيّرنَ البيـوتَ صـحاحا[١٤]

كانت لواقعة الغار أثرًا كبير في نفوس المسلمين لتعزيز الإيمان في قلوبهم ودرئ الشك ممن غزى قلبه مظاهره البذاءة، لتكون قدرة الله في نجاة رسولنا الكريم ورفيقه بوساطة تلك المخلوقات الضعيفة والتي أراد الله ان يثبت قدرة نصره لعباده بوساطتها، لتكون بذلك اقتباس من قوله تعالى:((إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ))[١٥]. كما لم تكن هذه الصورة وحدها التي نال فيها الرسول الكريم رفقة صاحبه بل ان الشاعر الصرصري أورد مضمون ذلك أيضًا في قصيدته تمثلت بمآثرهم في خدمة الدين ومسعاهم إلى نشر معالمه الدين التي خص بها الله تعالى رسولنا الكريم، قائلًا:

فـي سـورة النـور ثـم فـي الحديـد لـه فضـلُ السّـباقِ المحصّـلِ[١٦]

يذكر الصرصري فضل ومكانة أبي بكر الصديق (رضي الله عنه) ومكانته مع الرسول الأعظم وفضله ذكر في سورة النور والحديد وهي اقتباس من قوله تعالى:((وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ))[١٧]، وذكر فضله في سورة الحديد كما في قوله تعالى:((لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا))[١٨]، أي ان كلا الشاعرين كانا حريصين على توطيد تلك المعجزات وما نالها من صور مثلت تلك الواقعة ليكون بذلك نتاجهم الأدبي صورة مقاربة عن السياق القرآني دون الاعتماد على الاجتهاد وتدخل شخصية الشاعر في

ذلك وبهذا يكون منافيًا للواقع، بل ان غاية الاقتباس كانت رغبة الشاعرين بنقل الواقعة بواقعية وصراحة.

❖ **تمثيل شخصية الرسول بالنص القرآني :**

وظف الشاعران شخصية الرسول بحسب السياق القرآني وبما ينسجم مع الصورة الراسخة في أذهاننا، إذ عمدوا في سياق نصوصهم الإيضاح والبعد عن التكلّف؛ لأن الغاية إخبار العامة والآخر نصيب من ذلك، فيقول الصرصري متضمنًا ما ذكر:

خـــر لله ســـاجدًا لـــم يعـــالَج بختـــانٍ زكـــا وقُـــدّس عبـــدا

وضـــعت أجمـــلَ البريـــة وجهـــاً قد كستْ منه روضـةُ الحسن خدا[١٩]

وقد خر لله ساجدًا حين نزوله من بطن أمه، ونزل مختونًا لا يحتاج إلى ختان كغيره من البشر، فنعم المولود هو زكاة وتقديسا، وبه وضعت آمنه أجمل البرية وجهًا وأحسنهم خدًا ليتمثل الاقتباس ضمنًا في البيت الأول بقوله تعالى:((إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا))[٢٠]، كما لم يكن المرحّل الأندلسي بعيدًا عن ذلك، بل كانت له ممارسة فعلية باقتباس الأمر ذاته من القرآن الكريم ويكون محور حديثه مشابه لتلك الواقعة، إذ يقول:

تعجّـب منـه النـاسُ إذ خـرَّ سـاجداً وإذ غـاب عـنهم فـي غمـام أظلّـت

تعلّـلَ بِشْـراً واسـتهلّ مُسـبّحاً فهلّلـت الأفـلاك ثـم اسـتهلت[٢١]

نلحظ على سياق النص (تعجّب منه الناسُ إذ خرَّ ساجداً) صورة مقاربة لما أورده الصرصري ويكون جنس عملها مقتبس من قوله تعالى:((يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا))[٢٢]، أي أن الشاعرين كانا حريصين على توطيد هذه الواقعة لما لها أثر فعال في نفوس البشر وبرهان تقشعر له الأبدان ليتناسق مع سياق حديث الأخر المشرك الذي ينفي عنه صفة الإعجاز، ويقول في موضع آخر الصرصري مقررًا إنشراح صدر النبي (عليه الصلاة والسلام) ومنحه القدرة والصبر على تحملِ أعباء الرسالة:

وفيهـــا قبيـــلَ الرفـــع أكمـــلَ صـــدرُه بشـــــرحٍ منيـــــرٍ نشـــــرُه يتضـــــوعُ

بـــــه أظهـــــر اللهُ المهـــــيمنُ دينَـــــه فأصـــبح وجـــهُ الـــدين لا يتبرقـــعُ[٢٣]

نلحـظ ان الشـطر الثـاني مـن البيـت الأول مقتبسًـا مـن قولـه تعـالى:((أَلَمْ نَشْـرَحْ لَـكَ صَدْرَكَ))[٢٤]، وفي هذه الليلة شرح الله صدره مرة ثالثة قبل عروجه إلى السماء، وبه أظهر الله المهيمن دينَه الإسلام وأصبح به وجه الدين ساطعًا خالصًا لا يتبرقع، ثم بعد ذلك يوظف ما عاناه طوال حقبة النبوة، قائلًا:

مســـنيَ الضـــرُّ ومـــا لِـــي ســـوى جاهِـــك اســـبابٌ بهـــا أَعلـــقُ

كـــن لـــي مجيـــرًا مـــن زمـــانٍ بـــه قـــــوارعُ أســـــهُمُها ترشـــــقُ[٢٥]

يذكر الشاعر انه قد مسه الضر وما له سوى جاه النبي يتعلق بأسبابه، ويلتمس من الرسول الأعظم أن يجيره من قوارع ذلك الزمان التي ترشقه بسهامها، فالبيت الأول فيه اقتباس مع قوله تعالى:((وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ))[٢٦]، نجد سمة التعالق عنده بتجسيدها ضمن سياق النص الشعري التي تتمثل بفضل الرسول عليهم رغم من مجابهتهم إليه بالنكران وطرح الآثام ما يراودها من اعتداء على رسولنا الكريم، قائلًا:

فـــأخرجهم مـــن ظلمـــة الجهـــلِ نـــورُه وأنقـــذَهم مـــن موبقـــاتِ الهثاهـــثِ[٢٧]

أي أن الرسول أخرجهم بما جاء به من نور الإيمان من ظلمات الجهل، وأنقذهم من الموبقات المهلكات المفسدات فهو اقتباس من قوله تعالى:((يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ))[٢٨].

أما المرحّل الأندلسي فلم يكن مخالفًا لقرينه الصرصري في التعبير عن القصد، إذ كان حريصًا على اقتباس الآيات القرآنية التي حقت بنبوة رسولنا الكريم والمتداولة في سياقات الدينية للآخر بوصفها محاجة تنكر ما زعم إليه المشركون، قائلًا:

إليـــه يشـــير ابـــن البتـــول إذا رأى ضـــجيجُ الـــورى فـــي حيـــرة وعنـــاءِ

إشـــارَتُهُ مـــن قبـــل ذاك إلـــى اســـمه وكـــانَ الحواريـــون فـــي الشـــهداءِ[٢٩]

فيقصد الشاعر بـ(أبن البتول) هنا هو نبينا عيسى الذي كان على علم باسم احمد وانه خاتم للأنبياء، فأشار إلى ولادته بالقريب العاجل ، وانه سوف يكون ملاذًا لكل الناس الضعفاء و مرجع لهم، وبمعنى التقدم أي العلم بولادة سيد الأنام قبل ولادته المباركة إذ حكى الله تعالى بشارة عيسى (عليه السلام) برسالة محمد من بعده متممة للرسالات جميعا فالاقتباس قوله (إشارتُه من قبل ذاك إلى اسمه)، مع المعنى القرآني في قوله تعالى: :((لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْبَيِّنَاتِ))[٣٠]، ونجد الاقتباس في عجز البيت الثاني منه مع قوله تعالى:((قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ))[٣١]، ويقول أيضًا:

بشـــيرٌ لمـــن لبّـــى نـــذيرٌ لمـــن أَبـــى ســـراجٌ لـــذي لحـــظ دليـــلٌ لـــذى لـــبّ

بشـــارة عيســـى حـــينَ أُخبـــرَ باســـمه وقـــال ارقبـــوا هـــذا النبـــيُّ مـــن العـــرب

بآيـــــة مايـــــأتي بنـــــورٍ وحكمـــــةٍ ويدعو لورد المشرب العذب بالعضب[٣٢]

أوضح في شعره هنا ان النبي كان بشيرًا لمن لباه نذيرًا ونذيرًا لمن أنكره، وكان سراجًا وهاجًا، ولهذا بشر عيسى (عليه السلام) الناس في زمانه بهذا النبي (صلى الله عليه وسلم) الذي سيكون من بعده خاتم للنبيين وانه من العرب الذي تشرفوا بهذا النسب وخاصة ان النبي عربي اللسان، والبيت الأول اقتباس من قوله تعالى:((إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا))[٣٣]، كما وورد في البيت الثاني أيضا اقتباس مع قوله تعالى:((إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ))[٣٤] وفي موضع آخر يقول:

نـــذيرٌ جـــاءكم عريـــانَ يعـــدو وأنـــــتم تضـــــحكون وتلعبونـــــا

أُخَـــيَّ الـــى متـــى هـــذا التصـــابيَ جننـــتَ بهـــذه الـــدنيا جنونـــا[٣٥]

جاء الاقتباس في البيت الأول مع الآية الكريمة:((تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا))[٣٦]، وقوله تعالى:((إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيراً وَنَذِيراً))[٣٧]، فيوضح بوساطة ألفاظ القرآن ان الرسول جاء إليكم من ربكم ينذركم عذابا لا مرد له من الله ولكنكم لا تفقهون وما زلتم في طغيانكم غارقون. ويقول أيضا:

فرائضـــهم أمســـت كمثـــل قلـــوبهم ولكـــن لهـــم يـــوم الجـــلاد عـــوارف

فرعـــت [يأمـــداح]الرســـول وصـــحبه ســـنام العـــلا أنـــي بـــذالك عـــارف[٣٨]

جاء البيت الأول مقتبسًا من قوله تعالى:((فَلَوْلا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ))[٣٩]، أي ان الحالة المراد ذكرها بيان حال الكافر فهي مجابهة المسلم وتقديم صورته بسياق إذلال وضعف البرهان المقدم، لينتقل الشاعر المرحّل الأندلسي بعدها توطيد الآيات التي أقسم الله بها على سيدنا محمد، فأعظم بهذا الفخر من قسم، أي ان كلا الشاعرين كانا حريصين على توطيد هذه السمات في نتاجاتهم الأدبية.

❖ **معجزة الرسول بدلالة النص القرآني :**

لم يقتصر الشاعران على تمثيل الآيات التي احتكمت بخلق الرسول وتهذيبه، بل ان معجزة الرسول كانت حاضرة في سياق النصوص الشعرية، متعمدين بذلك على النص القرآني فيما يتناسب مع الموضوعات المختارة، لتبين على مخزون الشاعرين من الناحية الدينية وسعة مخيلتهما الأدبية من جهة أخرى، فهذا الصرصري يورد في سياق قصيدته نيل شفاعة الرسول لمن ساق به الإيمان بنبوته في عالم الآخرة بحسب مضمونه في السياق القرآني مع مراعاة التكرار في توطيد خلق الرسول الكريم مرة أخرى، إذ نراه يقول:

وهــو الشــفيعُ الــذي تنجــي شــفاعتُه عصـــــاة أمتـــــهِ مـــــن جـــــاحِمِ ضـــــرمِ

وهو المخصصُ في القرآنِ بالخلقِ ال عظـــــيمِ أقســـــم فيـــــه اللهُ بـــــالقلمِ

وهــو الــذي أقســم اللهُ العظــيمُ بــه في الحِجر أعظِم به في الفخر من قسم[٤٠]

يتحدث عن النبي الأعظم وشفاعته يوم القيامة التي تنجي عصاة أمته من نار الجحيم، وهو الذي ذكر في القرآن الكريم بالخلق العظيم وان الله تعالى أقسم فيه في سورة الحجر واقسم مرة أخرى بعمره في سورة القلم فقد ورد الاقتباس في قوله تعالى:((لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ))[٤١]، كذلك الحال مع قوله تعالى:((وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ))[٤٢]، أما مضمون جزاء العمل المتمثل بشفاعة الرسول لأمته، إذ جاء مقتبسًا من قوله تعالى:((مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ))[٤٣]، ويقول ايضا :

لقـــد ربحـــت تجـــارة مَـــن نحـــاهم وأصـــبح كســـبُ شـــأنئهمْ خســـارا

فأحمـــدُ ذا الجـــلال كمـــا هـــداني لحـــبهم وبـــارك لـــي وخـــارا[٤٤]

فيتحدث عن مشايخه ويقول لقد ربحت تجارة من اهتدى بهدايتهم، وخسر من عادهم وانحرف عن سبيلهم، وهنا يعلن حبه لهم فيقول فالحمد لله الذي هدانا إلى حب هؤلاء وبارك واختار لنا الأفضل، فورد البيت الأول متضمنًا اقتباس مع قوله تعالى :((إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّـهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ))[٤٥]، ليمتثل حال النص بلفظة (الربح، التجارة) فهي من نزوات البشر وغاية في ترغيب النفس إلى ما تطمح إليه ليكون سياق النص في مقاربة مع واقعية المجتمع بسعي الإنسان إلى كسب الرزق، وكل ما ذر مرهون بقدوم نبينا الأعظم، ويقول :

فـأخرجَ النـاسَ مـن ليـلِ الضـلالِ إلـى صـــباحِ حـــقٍ مبـــينٍ غيـــرِ مـــتهمِ[٤٦]

اخرج الرسول الأعظم الناس برسالته من ليل الضلال إلى صباح الحق المبين، فورد اقتباس مع قوله تعالى:((اللَّـهُ وَلِـيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ))[٤٧]، أي ان

سياق ما ذكر تضمين فضائل النبي على عامة الناس الذي سار بهم إلى دروب الحق بعدما ضلوا تائهين في أروقة الفحش والظلام، ليكون هو أداة الحق التي نطق بها الله سبحانه وتعالى، ليقول الشاعر في ذلك:

بشـــيرًا نـــذيرًا شـــاهدًا متـــوكلاً حبيبًـــا خلـــيلاً نـــاظرًا ومكلّمـــا[٤٨]

يتحدث عن صفات النبي الأعظم فهو بشيرًا ونذيرًا، والشاهد على أمته، والمتوكل على الله وهو حبيب الله وخليله، وهو من أكرمه الله بالنظر إلى وجهه الكريم فورد الاقتباس في قوله تعالى:((إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا))[٤٩]، وعجز البيت مع قوله تعالى :((وَاتَّخَذَ اللَّه إِبْرَاهِيم خَلِيلًا))[٥٠]، ويقول في المعنى ذاته:

ســراجًا منيــرًا فــاتحَ الخيــرِ خاتمًــا رؤفًــا رحيمًــا شــافعًا ومحكمًــا[٥١]

نلحظ ان البيت أعلاه مقتبس من الآية الكريمة ((إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا))[٥٢]، وعجز البيت مقتبس مع قوله تعالى:((عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ))[٥٣].

❖ **اقتباس الحديث النبوي :**

يشكل الحديث النبوي مصدرًا مهمًا من مصادر تشكيل الفكر العربي؛ لأنه مستودع لغوي ذات أهمية كبيرة، وقد ورد التضمين مع الحديث عند الصرصري فقد كان مكثرًا في ذلك على عكس قرينه المرحّل الذي لم نجد هذه السمة لديه هذا وان دل على شيء فهو يدل على معرفة الصرصري وتشبع مخزونه الثقافي بهذه الأشعار هذا من جانب وإعجابه وتعلقه بتراثهِ المتمثل بخاصية الرسول الكريم وما تضمنه سياقه بأقوال وأحكام دلت على هبة رسولنا الكريم من جانب أخر كما في قوله:

وذو النقمـــاتِ الموبقـــاتِ عـــدوه بكـــل حســـام ذي عـــزار مشـــحذِ

تعطفُـــــه بَـــــرْدٌ ورَوْحٌ وراحـــــة علـــى كبـــدٍ حـــرى وقلـــب مفلـــذِ[٥٤]

وهو صاحب النقمات الموبقات لأعدائه، والذي يشحذ للقضاء عليهم كل حسام شديد الضرب والقطع، وأما عطفه فهو برد وروح وراحة على كل ذي كبد حرى وقلب مفطور فقد وردت موبقات في الحديث الشريف رواه كل من البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة (رضي الله عنه) ان النبي قال:((اجتنبوا السبع الموبقات قالوا يا رسول الله ما هن، قال:[الشرك بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله الا بالحق واكل الربا واكل مال اليتيم والتوالي يوم الزحف وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات]))[٥٥]، ويقول الصرصري أيضا:

واللهُ أدبَـــــه فأحسَـــــن ربُّـــــه تأديبَـــه فـــي الســـرّ والإعـــلان[٥٦]

لم يغفل على الشاعر تضمين خلق الرسول الكريم بل كان ركيزة أساسية في شعره، إذ تناولها وجعلها أداة استشهاد بين موضع وآخر بوصفها محاجة ضد كل من أنسب إلى رسولنا الكريم غير ذلك، فجاء سياق شعره متضمنًا قول النبي :[وأدبني ربي فأحسن تأديبي][٥٧]، فنجد أن اقتباس الحديث النبوي عند الشاعر الصرصري يتكرر كثيرًا على خلاف قرينه (المرحّل الأندلسي) الذي أفرغ ديوانه من جنس هذا العمل الأدبي، فيقول الصرصري أيضًا:

هـــي القلـــبُ للإيمـــان والقبـــة التـــي بهـــا أصـــبحَ الإســـلامُ فـــي خيـــرِ معقـــلِ

وفصْـــلُ الحـــلال والحـــرم وتربُهـــا شـــفاءٌ لـــداءٍ فـــي البريـــة معضـــل

علـــى روضـــةٍ مـــن جنـــة الخلـــدِ قبـــرُه ومنبـــرُه يـــا رائـــدَ الخيـــرِ أقبـــلِ[٥٨]

أي ان قبر النبي الأكرم ومنبره على روضة من رياض الجنة فيا طالب الخير اقبل عليه وسلم فهذا البيت مقتبسًا من قوله صلى الله عليه وسلم :(ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة)[٥٩].

وبهذا نلحظ مراعاة الشاعرين توثيق ما تم طرحه من الموضوعات التي يرغب الشاعر إيصالها إلى عامة الناس مقتبسة ضمنًا من الذكر الحكيم والحديث النبوي فيما يتناسب مع سياق الكلام، ومن أجل ان تكون الحجة المقدمة من ذات الشاعر أكثر ميثاق وصدق بوصفها برهان كلام الله، كما كانت لتلك البيئة الدينية آثار واضحة في ترسيخ مبدأ الدعوة الإسلامية

في نتاجهم الأدبي، فضلًا عن اللغة والأسلوب وطريقة تقديم البرهان موافق لتلك السمة التي حظي بها كلا الشاعرين وهي بالفعل مرهونة بسياق ذلك المجتمع الذي نشأ فيه ، وكلاهما برع في توطيد المرتكزات الدينية المترسخة ضمن السياق القرآني، إذ أن لكل فيها طريقة في توطيد هذه السمات سواء متعلقة بالإحكام والشرائع الدينية أو بالإعجاز القرآني وثبوت نبوءة الرسول الأعظم لينهال علينا موضوعات متنوعة يتسارع فيها كلا الشاعرين بتقديمها ضمن نتاجهم الأدبي.

الخاتمة:

بعد الإنتهاء بفضل الله تعالى يمكن تسجيل أهم النتائج والملاحظات العلمية في الاتي:

- نلحظ تنوع المضامين في قصيدة المدح النبوي من خلال تعداد صفات النبي الخُلقية والخَلقية ومناقبه ومعجزاته والشوق لزيارة مقامه الكريم .
- تكامل فن المديح النبوي والذي بات منتشرا في جميع الأقطار العربية مما جعل الشعراء يتفننون به من ناحية شكل ومضمون القصيدة والاساليب من ناحية أخرى.
- يشكل الاقتباس مصدرًا مهمًا من مصادر الفكر عند الشاعرين فهم استعملوه لتقوية شعرهم وليمنحوه الوضوح، وهو أحد فنون البديع الذي يستعمله الشعراء لتقوية شعرهم.
- أجاد كلا من الصرصري والمرحّل الأندلسي في توطيد سمات الخالق الله تعالى واقتبسوا من البراهين القرآنية بوصفها حججًا على ما يقولاه.
- كان الصرصري ذا براعة فنية في اقتباس آيات القرآن التي بين بوساطتها براعة الخالق سبحانه وتعالى في بداعة الكون المتمثلة بالجمال ولهذا نجد صفة التكرار في شعره.
- اما المرحّل الأندلسي فكانت لديه براعة فنية في توطيد صورة النصر الإلهي وتأييده للنبي الأعظم وإثبات نبوته فكان الاقتباس عنده خاليا من أي غموض لبيان معجزات الرسول (صلى الله عليه وسلم).
- اجادا الشاعرين في ترسيخ شخصية الرسول وعلاقته بالنص القرآني إذ كانا حريصين على اقتباس الآيات القرآنية التي حقت بنبوة رسولنا الأعظم.

- كما وبرع الشاعرين في تصوير معجزات الرسول والتي كانت حاضرة في سياق النصوص الشعرية معتمدين بذلك على النص القرآني.
- سعة مخزون الشاعرين من الناحية الدينية وسعة ثقافتهم الأدبية التي جعلتهم على تضمين شعرهما بآيات من القرآن الكريم والحديث والشعر العربي.
- نجد ان الصرصري كان اكثر ابداعا في تضمينه للاقتباس فكانت صوره تعطي جمالًا واثرًا للمتلقي، اي أن برهان عمله الأدبي هو أقرب إلى الشعر التعليمي منه إلى المحاجة وتضميناته تظهر لنا صورة المسلم والكافر فيما يتعلق بأحوال الدنيا والآخرة، وهذه مزية تضاف إلى الشاعر لتأثره في البيئة الدينية التي عمل فيها على الجوانب التطبيقية في الممارسات الدينية ونشر معالمها الإسلامية فيما ينسجم مع طبيعة ذلك المجتمع
- نجد ان اقتباس الحديث النبوي عند الشاعر الصرصري يتكرر كثيرًا على خلاف قرينه المرحل الذي أفرغ ديوانه من جنس هذا العمل وهذا يدل على سعة الشمولية عند الصرصري فضلًا عن الرغبة في التنوع الثقافي معتمدًا بذلك على مخيلته الثقافية التي اتاحت له مجال التعبير والتوطيد

The Religious Interrelatedness in the Aspect of Quranic Quotation
An Extracted Research Paper from M.A Thesis Submitted by

Ghadeer Ali Mahmoud
Prof. Louay Seihoud Al-Tamimi (Ph.D(.
College of Education for Humanities
University of Diyala
Department of Arabic Language

key words: Prophetic Praise, Religious Interrelatedness, Quotation, Inclusion, Al Sarsari, The Deported

Abstract

The praising of the Prophet is a poetry that is concerned with praising the Messenger (God's blessing and peace be upon him). It is to show the moral and ethical qualities of the Prophet, and to show the desire to see the Prophet and visit the holy places that are related to the life of the Prophet. It is a religious poetry that stems from an Islamic vision, and the Arab poets were interested in it and they demonstrated their artistic prowess in this type of poetry, and they clarified the qualities of the Greatest Messenger with dazzling skill as their praise included a quotation and inclusion of the verses of the Noble Qur'an and the Prophetic hadiths. It was mentioned in various forms and styles, so the great love of the Messenger was a means that made the poet beg him to intercede for him before the Divine Presence; Because the Prophet (God's blessing and peace be upon him) is the noble, the intercessor, and the owner of the blessing. Therefore, the praise poem has become a poetic model with an artistic point of view, characterized by its poetic virility, and it has become a distinguished place among the poetry of the Prophet's praise

الهوامش:

(١) ينظر: نهاية الإيجاز: تأليف فخر الدين الرازي، تح بكري شيخ أمين، دار العلم للملايين، بيروت_لبنان، ط١، ١٩٨٥م: ٢٨٨.

(٢) المصدر نفسه: ١١٢.

(٣) الإيضاح في علوم البلاغة (المعاني والبيان والبديع): القزويني، دار الكتب العلمية، بيروت –لبنان، ط١: ٣١٢.

(٤) معجم المصطلحات البلاغية: تأليف الدكتور احمد مطلوب، مكتبة لبنان للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠٠٧م: ١٥٩.

(٥) ديوان الإمام الصرصري: ٦١.

(٦) الصافات: ٦.

(٧) ديوان الإمام الصرصري: ١٥٣.

[٨] البقرة: ٢٢.

[٩] ديوان الإمام الصرصري: ١٢٨.

(٤) المائدة: ٥٦.

[١١] مالك بن المرحل أديب العدوتين: ٤٠١.

[١٢] هود: ١٧.

[١٣] الروم: ٣٢.

[١٤] مالك بن المرحل أديب العدوتين: ٣٨٦.

[١٥] التوبة:٤٠.

[١٦] ديوان الإمام الصرصري: ٥٣٤.

[١٧] النور: ٢٢.

[١٨] الحديد: ١٠.

[١٩] ديوان الإمام الصرصري: ١٣٧.

(٤) السجدة: ١٥.

[٢١] مالك بن المرحل أديب العدوتين: ٣٨٢.

[٢٢] الإسراء: ١٠٧.

[٢٣] ديوان الإمام الصرصري: ٣٥٥.

[٢٤] الشرح: ١.

[٢٥] ديوان الإمام الصرصري: ٤٣٠.

[٢٦] الأنبياء: ٨٣.

[٢٧] ديوان الإمام الصرصري: ٩٧.

[٢٨] المائدة: ١٦.

[٢٩] مالك بن المرحل أديب العدوتين: ٣٨٠.

[٣٠] الصف: ٦.

[٣١] آل عمران: ٥٢.

[٣٢] مالك بن المرحل أديب العدوتين: ٣٨١.

[٣٣] البقرة: ١١٩.

[٣٤] آل عمران: ٠٤٥

[٣٥] مالك بن المرحل أديب العدوتين: ٣٥٩.

[٣٦] الفرقان: ١.

[٣٧] البقرة: ١١٩.

[٣٨] مالك بن المرحل أديب العدوتين: ٣٧٤.

[٣٩] الأنعام: ٤٣.

[٤٠] ديوان الإمام الصرصري: ٦٣٢.

[٤١] الحجر: ٧٢.

[٤٢] القلم:٤.

[٤٣] البقرة: ٢٥٥.

[٤٤] ديوان الإمام الصرصري: ١٦٠.

[٤٥] فاطر: ٢٩.

[٤٦] ديوان الإمام الصرصري: ٥٩٠.

[٤٧] البقرة: ٢٥٧.

[٤٨] ديوان الإمام الصرصري: ٦٣٦.

[٤٩] البقرة: ١١٩.

[٥٠] النساء: ١٢٥.

[٥١] ديوان الإمام الصرصري: ٦٣٧.

[٥٢] الأحزاب: ٤٥ و٤٦.

[٥٣] التوبة: ١٢٨.

[٥٤] ديوان الإمام الصرصري: ١٤٣.

[٥٥] صحيح البخاري: الجامع المسند الصحيح المختصر من امور رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وسننه وأيامه ، محمد بن إسماعيل ابو عبدالله البخاري الجعفي، تح: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط١، ١٤٢٢هج، كتاب الوصايا، باب: قوله تعالى(ان الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما انما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا) ٤/١٠، رقم الحديث ٢٧٦٦.

[٥٦] ديوان الإمام الصرصري: ٧١٤.

[٥٧] ميزان الحكمة: تأليف محمد الريشهري، ط١، الناشر دار الحديث، م١: ٧٧

[٥٨]) ديوان الإمام الصرصري: ٥٢٧.

[٥٩] الكافي: الشيخ الكليني، تح علي اكبر الغفاري، ج٤، دار الكتب الإسلامية: ٥٥٤، والمصنف للأمام الحافظ أبي بكر عبد الله بن احمد بن محمد بن إبراهيم ابن أبي شيبة، مكتبة الرشد ناشرون بيروت لبنان، ط١: ١١.

المصادر والمراجع

- الإيضاح في علوم البلاغة (المعاني والبيان والبديع): القزويني، دار الكتب العلمية، بيروت –لبنان، ط١.
- ديوان الإمام الصرصري: شرح وتحقيق مصطفى مصطفى عطا، دار الكتب المصرية، ط١، ٢٠١٥م.
- الصحاح: الجوهري، تح احمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، ط٤.
- صحيح البخاري: للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل ابو عبدالله البخاري، ترقيم وترتيب الشيخ محمد فؤاد عبد الباقي ، تقديم العلامة أحمد محمد شاكر، دار ابن حزم، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨م.
- القاموس المحيط: الفيروز ابادي، تحقيق أنس محمد الشامي، زكريا جابر أحمد، دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠٨م.
- الكافي: الشيخ الكليني، تح علي اكبر الغفاري، ج٤، دار الكتب الإسلامية: ٥٥٤، والمصنف للأمام الحافظ أبي بكر عبد الله بن احمد بن محمد بن إبراهيم ابن أبي شيبة، مكتبة الرشد ناشرون بيروت لبنان، ط١.
- لسان العرب: جمال الدين ابن منظور الأنصاري، ت(عبد الله علي الكبير ، محمد أحمد حسب الله ، هاشم محمد الشاذلي)، دار المعارف، مصر.
- مالك بن المرحل أديب العدوتين: تح أ. د. محمد مسعود جبران، المجمع الثقافي، الإمارات العربية المتحدة، ٢٠٠٥م.
- معجم المصطلحات البلاغية: تأليف الدكتور احمد مطلوب، مكتبة لبنان للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠٠٧م.
- ميزان الحكمة: تأليف محمد الريشهري، ط١، الناشر دار الحديث، ط١.
- نهاية الإيجاز: تأليف فخر الدين الرازي، تح بكري شيخ أمين، دار العلم للملايين، بيروت_لبنان، ط١، ١٩٨٥م.